

صيد الخاطر

306 - - فصل : العقل منحة من الله .

تأملت على قوم يدعون العقول و يعترضون على حكمة الخالق .
فينبغي أن يقال لهم : هذا الفهم الذي دلكم على رد حكمته أليس هو من منحه ؟ .
أفأعطاكم الكمال و رضي لنفسه بالنقص هذا هو الكفر المحض الذي يزيد في القبح على الجحد .

فأول القوم إبليس فإنه رأى بعقله أن جوهر النار أشرف من جوهر الطين فرد حكمة الخالق .
و مر على هذا خلق كثير من المعترضين مثل ابن الرواندي و البكري و هذا المعري اللعين
يقول : كيف يعاب ابن الحجاج بالسخف و الدهر أقبح فعلا منه .
أترى يعني به الزمان ! فإن ممر الأوقات لا يفعل شيئا و إنما هو تعريض بالله جل شأنه و كان
يستعجل الموت طنا منه أنه يستريح .

و كان يوصي بترك النكاح و النسك و لا يرى في الإيجاد حكمة إلا العناء و التعب و مصير
الأبدان إلى البلى .

و هذا لو كان كما ظن كان الإيجاد عبثا و الحق منزه عن العبث .
قال تعالى : { و ما خلقنا السماء و الأرض و ما بينهما باطلا } .
فإذا كان ما خلق لنا لم يخلق عبثا أفنكون نحن و نحن مواطن معرفته و مجال تكليفه قد
وجدنا عبثا ؟ .

و مثل هذا الجهل إنما يصدر ممن ينظر في قضايا العقول التي يحكم بها على الظواهر مثل
أن يرى مبنيا ينقض .

و العقل بمجرد لا يرى ذلك حكمة و لو كشفت له حكمة ذلك لعلم أنه صواب .

كما كشف لموسى مراد الخضر في خرق السفينة و قتل الغلام .

و معلوم أن ذبح الحيوان و تقطيع الرغيف و مضغ الطعام لا يظهر له فائدة على الإطلاق .

فإذا علم أنه غذاء لبدن من هو أشرف بدنا من المذبوح حسن ذلك الفعل .

و اعجب أو ما تقضي العقول بوجوب طاعة الحكيم الذي تعجز عن معرفة حكمة مخلوقاته .

فكيف تعارضه في أفعاله ؟ نعود بالله من الخذلان